المتحدة سنويا . الى ان وقعت يداه على منشور عن الصهيونية مما أدى به الى دراسة المشكلة اليهودية والاقتناع ان الصهيونية هي الحل . فنفس الرجال وذوو نفس صفات الذين ينتمون الان الى الحركات الثورية سيجدون سبلا بناءة (وفي الولايات المتحدة فعلا يجدون هذه السبل) للتعبير ، ولتقديم المساهمة الايجابية للحضارة . وعندها قاطعه السيد بلفور للتعبير عن موافقته مضيفا : وهذه هي الاسباب بالطبع التي تجعلك وتجعلني صهيونيين متحمسين » . وهكذا فقد كانت الرغبة في دفع اليهود في « سبل بناءة » بعيدين عن الاحزاب الثورية ما جعل كلا من بلفور المسيحي وبراندايس اليهودي المنصهر صهيونيين متحمسين . فالتدفق المستمر من المهاجرين اليهود القادمين من شرقي اوروبة الى اوروبة الغربية والولايات المتحدة لم يمكن حده الا بتحويل سيل الهجرة الى فلسطين . وانضواء هؤلاء المهاجرين ، مثل حال ابناء ديانتهم في شرقي اوروبة ، في الاحزاب الثورية لم يمكن ردعه الا بدفعهم وراء حركة قومية تلهيهم عن المصالح الطبقية وتحولهم الى خدمة مصالح الامبريالية . وان نعلم ان براندايس توصل الى الصهيونية كأميركي وليس كيهودي — وهو الذي كان مسؤولا ذا شأن في الدوائر الاميركية الحاكمة — فذلك ينطبق عليه قدر ما انطبق على بلفور المسيحي الذي توصل الى صهيونيته بكونه مسؤولا في الحكومة البريطانية . اما عن تأكيدات براندايس ان اليهود في الولايات المتحدة باتوا يجدون سبلا بناءة للتعبير ، فكاتب سيرته يخبرنا انه قال بعد مصادقة الرئيس الاميركي على اعلان بلفور « ان العداء للصهيونية اصبح يعتبر شبيها بالخيانة » . ولم تمض سنوات قليلة على تبني الدول الغربية للصهيونية ، الا وفرضت الصهيونية ، بتشجيع من هذه الدول باجهزة الاعلام التي في حوزتها ، على كافة السكان اليهود في اوروبة الغربية وشمالي اميركة . وحتى يومنا هذا ، فان يكون احدهم يهوديا ومعاديا للصهيونية في نفس الوقت ما زال يوصم بالخيانة في هذه البلدان .

وان اصطبغت هذه المقالة نتيجة سردها للتفاصيل الدبلوماسية التي دارت حول احداث عام ١٩١٧ في روسيه بصابغ التحليل التآمري ، فذلك لان المسألة التي نحن بصددها أحيطت بالسرية واتخذت شكل التآمرية . فمنذ مطلع عهد الصهيونية حين كتب هرتزل عن دور الصهيونية في اضعاف الاحزاب الثورية ، امتنع مؤسس الصهيونية ، كما رأينا، عن اثارة هذا الموضوع في كراس موجه الى الرأي العام وآثر ان يذكرها في رسالة سرية . وتشارك الصهيونيون ورجالات الدول الغربية الذين أيدوهم في الابقاء على سرية هذا الدور للصهيونية حتى الان . فمنذ اصدار الاعلان كان المسؤولون البريطانيون وعلى رأسهم ونستن تشرشل قد باشروا بارسال التصريحات المختلفة لتفسير تبنيهم للصهيونية مختلقين الروايات عن دوافع اصدار الاعلان ومتجنبين دائما ذكر الدافع الاساسي . كما جهد الزعماء الصهيونيون بعد ذلك وعلى رأسهم حاييم وايزمان لاختلاق الاسباب والدوافع التي أحرزت لهم النجاح في نيل تأييد الدول الغربية للصهيونية فأصدروا المقالات الكثيرة والمنشورات الكثيفة لاحاطة الموضوع بأكثر قدر من التعقيد والغموض . ولا عجب في ذلك ، ففي الدعوة لتحقيق هجرة اليهود من اوروبة الشرقية الى فلسطين ، ادعت الاحزاب الصهيونية وخاصة احزاب اليسار منها ان برنامجها في فلسطين برنامج تقدمي ثوري يهدف الى اقامة المجتمع الاشتراكي الافضل لليهود في فلسطين . وقد نجحت الصهيونية الى حد بعيد في هذا الخداع في فلسطين خاصة وان سلطات الانتداب البريطانية وافقت على غض النظر عن الشعارات الاشتراكية والماركسية التي رفعتها أحزاب اليسار الصهيوني في حين صبت كامل سطوتها لضرب الحزب الشيوعي الذي ضم العرب واليهود معا في صفوف اعضائه . وبهذا تمكنت الصهيونية خلال حربها لاجلاء سكان البلاد الاصليين من عمال وفلاحين في فلسطين في الاربعينات من نيل تأييد الرأي العام التقدمي الاشتراكي في الغرب عن طريق ادعائها بأن صراعها كان مع الاقطاعيين العرب الذين تسلطوا على خيرات البلاد . ومنذ ذلك التاريخ حتى اليوم ،